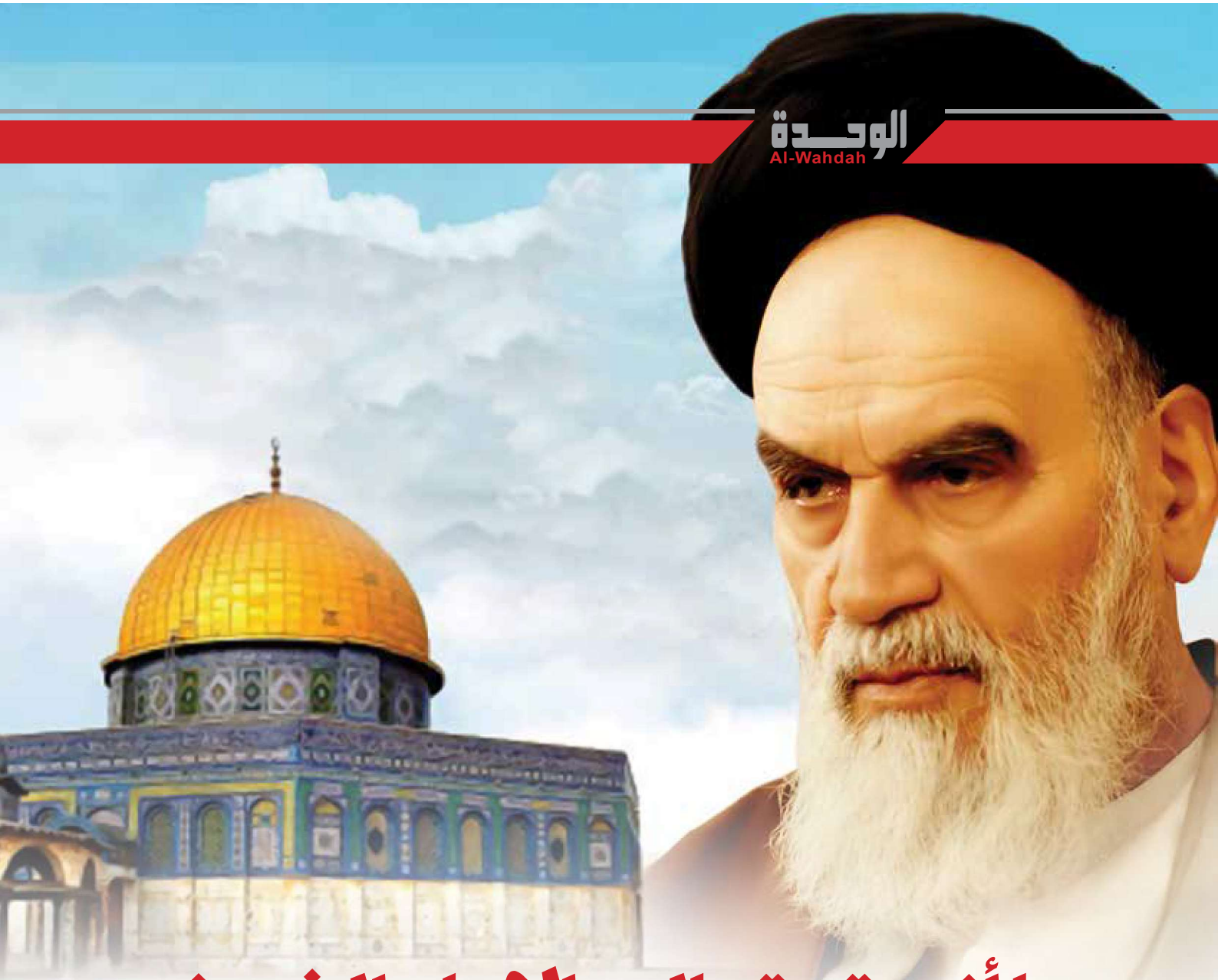

ما أنجزته تعاليم الإمام الخميني في العالم العربي

■ **بقلم / أحمد صبري السيد**
كاتب وباحث مصري

في كتابه عن حزب الله في لبنان عقب انتصاره على الكيان الصهيوني في ٢٠٠٦ قال المثقف الماركسي البريطاني كريس هارمن حول تجربة المقاومة الفلسطينية نقلاً عن مقال كتبه طالب فلسطيني اسمه ابراهيم علي في مجلة " انترناشيونال سوشياليزم

" في أوائل عام ١٩٦٩ : " إن حرب يونيو ، التي فضحت وجود حالة مؤكدة من الفساد والإفلاس لهذه الأنظمة ، أجبرت الفلسطينيين على إعادة تقييم موقفهم تجاه تلك الدول ، وقد عبر ذلك عن نفسه من خلال الدعم الشعبي الجارف لمنظمات حرب العصابات ، التي تعمل باستقلال عن الحكومات العربية" .

كانت الهزيمة العربية في هذه الحرب إيذاناً بنهاية مرحلة المواجهة التي ترعاها أنظمة سياسية لم تأت من خلال ثورة الجماهير ، ومع أن انتصار الجيش المصري في أكتوبر ١٩٧٣ كان رائعاً للغاية إلا أن السادات قام باستغلاله لإتمام عملية الفصل بين المقاومة والحكومات العربية التي كانت في الواقع تسعى لاستغلال المقاومة في صراعاتها أكثر من تقديم الدعم لها ، بما كاد أن يؤدي إلى موتها تدريجياً بعد أن أصبحت عبئاً على

هـذه الحكومـات .

إن الإنجـاز الأساسـي الـذي قامـت به الثورة الإسـلامية في إيـران وتعاليم الإمـام الخميني (قـده) هـو قيامهـا بالتأسـيس للتجربـة الجديـدة للمقاومـة والتي تقوم على النضال مـن الاسـفل عبر الانطـلاق من خـلال قناعات القواعـد الجماهيريـة ، وهـي الميزة الأساسـية للثـورة الإيرانيـة ، والتـي نقلتهـا كذلـك كفكـرة وآليـة عمـل لـدى الحـركات التـي تأثـرت بهـا ، وبالتالـي فـإن هـذا التميـز هـو مـا يفسـر قـدرة هـذه الحـركات الثوريـة علـى تحقيـق نجاحـات كبيرة سـواء من الناحيـة الميدانية أو الجماهيريـة .

لقـد كانـت الثورة الإسـلامية فـي إيران فعلاً اسـتثنائياً فـي منطقـة الشـرق الأوسـط ، لـم يكـن متوقعـاً علـى الإطـلاق فـي هـذه الفتـرة ، ولا كانـت الأوضـاع فـي هـذه الفتـرة مـن الممكـن أن تـؤدي إليـه ، وبالتالـي تـرك أثـره علـى كافـة الحـركات السياسـية فـي العالـم العربـي بحيـث لا يمكـن الادعـاء بـأن هنـاك حركـة سياسـية لـم تتأثـر بشـكل أو بآخـر بهذا الـدوي الـذي أحدثتـه الثـورة وتعاليـم الإمام الخميني الـذي بدا زعيماً مثيراً للدهشـة وعلى غيـر العـادة فـي هـذه المناطـق التـي اعتادت طـوال فتـرات الخمسـينات والسـتينات علـى الزعمـاء العسـكريين وانقلاباتهـم التي تسـمى لاحقـاً فـي إعلامياتهـم بالثـورات .

وبقـدر مـا كانـت غرابـة الحالـة الجديـدة علـى الشـرق ، كان التأثـر أيضـاً ضخمـاً رغـم كل المحـاولات التـي بذلتهـا القـوى الدوليـة لامتصـاص وهجهـا الثـوري عبـر إغراقهـا فـي حـرب مفروضـة مـع النظـام العراقـي ، إلا أن هـذا الوهـج الثـوري اسـتمر وتمكـن مـن الحفـاظ علـى حالـة النهـوض بـكل المنطقـة التـي ارتكنـت علـى قـوة دفـع هـذه التجربـة بـكل ثقلهـا بعـد أن انسـحب اليسـار فـي التسـعينات مـن المواجهـة المسـلحة عقـب تفـكك الاتحـاد السـوفيتي ولجـوء بعـض الـدول كالصيـن للسياسـات البراجماتيـة إلـى درجـة الاعتـراف بالكيـان الصهيوني سـنة ١٩٩١ بهـدف الحصول علـى تقنيات عسـكرية غربية وأمريكيـة عن طريقـه ، بالإضافـة للتكنولوجيا الغربيـة المتطورة والتي لا تسـتطيع الحصول عليهـا مـن الغـرب .

إن الإنجاز الأساسي الذي قامت به الثورة الإسلامية في إيران وتعاليم الإمام الخميني (قده) هو قيامها بالتأسيس للتجربة الجديدة للمقاومة والتي تقوم على النضال من الاسفل عبر الانطلاق من خلال قناعات القواعد الجماهيرية ، وهي الميزة الأساسية للثورة الإيرانية ، والتي نقلتها كذلك كفكرة وآلية عمل لدى الحركات التي تأثرت بها

ومـن الغريـب أنـه فـي الوقت الـذي أصبحت فيـه الولايات المتحدة قطبـاً أوحد في العالم ، بحيـث تصور الكثيرين أن القضية الفلسـطينية قـد انتهـت تمامـاً خاصـة عقـب قبـول قيـادة منظمة التحرير سـنة ١٩٩١ التفـاوض واضطرارها للفـرح بالعظمـة التـي ألقيـت لهـا عبر تأسـيس جـزر منعزلة في الضفة الغربية وغزة ، فإن هذا الوهـج الثـوري لأفـكار الإمـام الخميني الثورية كان يدفـع لتحقيـق أحـد أهـم الانتصـارات القاسـية علـى الكيـان الصهيوني تحقق بشـكل مـدوي في مايـو ٢٠٠٠ لتتحقق فيما بعد سلسـلة مـن الانتصـارات الميدانيـة والسياسـية أدت في النهايـة إلـى وضـع متـأزم بالنسـبة لهـذا الكيان أصبـح فيـه يعيـد وضـع علامـات الاسـتفهام مـرة أخـرى حـول إن كان سـوف يكون قـادراً على البقاء في المسـتقبل ، بعد أن كان هذا التساؤل قـد انتحـى تماماً .

يبقـى فـي النهايـة الإشـارة إلـى أن انتصـار الثورتيـن المصريـة والتونسـية ، واشـتعال الوهـج الثـوري فـي المنطقـة ككل إنمـا يعـد تتويجـاً لدعـوة الإمـام الخمينـي (قـده) لـكل الشـعوب المسـتضعفة بضرورة الثـورة على كل النظـم الحاكمـة الرجعيـة والتابعـة للإمبريالية الأمريكيـة ، وهـو رغـم تأخـره كثيـراً إلا أنـه أتـى فـي اللحظـات التي توفرت فيهـا قوانينه المادية ، وهـو فـي الواقـع مجـرد بدايـة لانتصـار أكبـر سـوف تكون هذه الشـعوب قـادرة على تحقيقه بعـد زوال الحاجـز الـذي كان يفصـل بينها وبين تلقيهـا بشـكل سـليم لرؤيـة الإمـام الخمينـي (قـده) الثوريـة عبـر اسـتفادتها من هـذه الرؤية فـي تطويـر حركتهـا الثورية لتحقيق الاسـتقلال الكامـل فـي قرارهـا السياسـي والاقتصـادي .